www.assafir.com © 2010 جريدة السفير

سياسة
تاريخ العدد 20/07/2010 العدد 11645

جنبلاط في افتتاح المؤتمر الاغترابي الدرزي الأول:
نحن طليعة الخط العربي... ولحظات التخلي انتهت

جعفر العطار

تحولت الطاولة التي تحلق حولها وفد «لجنة التواصل المعروفية»، التي وصلت إلى لبنان مساء أمس الأول من فلسطين المحتلة عبر سوريا، إلى عنوان أساسي في «المؤتمر الاغترابي الأول لطائفة الموحدين الدروز في لبنان»، الذي دعت إليه لجنة الاغتراب في المجلس المذهبي الدرزي مساء أمس في مجمع الـ«بيال». عنوان قصده النائب وليد جنبلاط أكثر من مرة، محيياً تارةً، ومطمئناً تارةً أخرى.

المؤتمر، الذي حضره اضافة الى جنبلاط، وزير الدولة عدنان السيد حسين ممثلا رئيس الجمهورية، النائب علي بزي ممثلا رئيس مجلس النواب، وزير الشباب والرياضة علي العبد الله ممثلا رئيس مجلس الوزراء، الوزير السابق طلال ارسلان، وزراء ونواب من «اللقاء الديموقراطي» بالإضافة إلى حشد من المغتربين الدروز، استرعى تكهنات عدة، قبل بدء الكلمات، من المشاركين من الخارج ممن صوبوا سهام أسئلتهم إلى النتائج الحقيقية التي قد ينجم عنها المؤتمر، وإن كانت ستصب في خانة «لمّ شمل الدروز في لبنان والخارج»، أو منبراً لإطلاق المواقف السياسية فحسب.

استهل المؤتمر بكلمة لرئيس لجنة شؤون الاغتراب الشيخ كميل سري الدين، شدّد فيها على الوحدة الدرزية وتعاون أبناء الطائفة في بلاد الانتشار، مع أبناء الوطن، لافتاً الانتباه إلى أن «هذا المؤتمر هو الأول من نوعه، على صعيد التمثيل وعدد المغتربين الذين وفدوا من الخارج، ما يحتم علينا الوقوف جنباً إلى جنب، والاهتمام بموضوع الأرض وعدم التفريط بها بذريعة التجارة».

ثم تحدث رئيس وفد «لجنة التواصل المعروفية» الشيخ عوني خنيفس، متطرقاً إلى شجون الطائفة في فلسطين المحتلة (مناطق العام 1948)، فوصف الوضع الراهن بأنه «الوقت الذي نحن بأمسّ الحاجة للتواصل مع أبناء شعبنا وقومنا ومذهبنا، فقد كنا الضحية مرتين: في المرة الأولى من قبل سلطات بلادنا، وفي المرة الثانية على يد أبناء جلدتنا، وهذا أشد إيلاماً».

وعرّج خنيفس على نشأة الدروز وهويتهم التاريخية، فقال انهم «أبناء فاطمة الزهراء. نحن قلب شكيب ارسلان وسلطان باشا الأطرش. طريقنا ستبقى طريقهم رغم كل الظروف»، لافتاً إلى «اننا أتينا إلى هنا لوضع حجر التواصل معكم، وإنه يقلقنا ما تتعرضون له في لبنان، ولذلك نقول لكم: لا سبيل لنا إلا الوحدة، ففيها يكمن الانتصار».

ارسلان، الذي تفقد مع جنبلاط طاولة الوفد الديني، قدّم «بانوراما» سريعة عن هدف اللقاء من جهة، وجذور الطائفة من جهة ثانية، فأشار إلى أن المؤتمر يرمي إلى تعزيز التواصل بين أبناء الطائفة الدرزية، حيث «نستمع إلى بعضنا البعض. نوثق العلاقات الشخصية والعائلية فيما بيننا، ونضع القواعد للمزيد من التواصل».

تاريخياً، ذكّر ارسلان بـ«إمارة سن الفيل قبل 1213 عاماً، التي كانت بداية إمارة جبل لبنان، ثم حجر الزاوية للبنان»، ليربط بين التاريخ والجغرافيا قائلاً: «التاريخ سجل للتحولات، بينما الجغرافيا ثابتة، فمن يسقط الجغرافيا من معادلته السياسية، يخرج نفسه من التاريخ. نحن نريد أن نرسخ في التاريخ، لا أن نزول».

ومن التاريخ والجغرافيا، انتقل ارسلان إلى السياسة والحرب، مكرساً اتفاقه مع جنبلاط على نحو تأكيدي، فتوجه بخطابه إلى الحضور: «نريد أن نسير يداً بيد مع وليد بيك جنبلاط، لحماية لبنان من العدو الإسرائيلي الذي يحاول أن يستعيد مكانته بعد الهزيمة المدوية التي أنزلته بها مقاومتنا المظفرة في حرب تموز».

وكرر ارسلان، أكثر من مرة، حديثه عن المقاومة ودورها الآني، فشدد على أن الطائفة الدرزية «ستسير يداً بيد لتبقى هذه الطائفة سيف الإسلام، الذي ستحارب به عملاء إسرائيل في الداخل والخارج»، لافتاً إلى أنه «لا فرق بين العميل الذي يزود الإسرائيلي بالمعلومات المباشرة، والعميل الذي يبث السموم في لبنان ويخفف من مهام العميل الإسرائيلي».

أما جنبلاط، الذي وفد مع عقيلته نورا، فنبه في مستهل كلمته إلى أنه لا مفر من التطرق إلى الملاحظات السياسية، راسماً «خريطة» سياسية لـ«الأزمات الكبيرة التي تعرض لها لبنان في السنوات الأخيرة».

قال جنبلاط في مراجعته: لقد مر لبنان بخضات وأزمات كبيرة في السنوات الاخيرة، ومرت عليه احداث داخلية هائلة من التعقيد والشبهات، كما تعرض الى عدوان اسرائيلي مدمر حاول ضرب مقاومته الوطنية والاسلامية ولكنه فشل بفضل صمودنا وبفضل تضامن اللبنانيين شعباً ودولة ومقاومة، رغم الانقسام السياسي آنذاك مع الاسف نتيجة الاحداث الداخلية، لكن ومن باب المراجعة والنقد الذاتي بين ما جرى آنذاك والمعطوف على لحظات من التخلي غير المبررة والجنوح ولو لفظيا، فان ما جرى اعطى اشارات سلبية للخارج وشوه التاريخ الموضوعي للعرب الدروز اللبنانيين. لذا اقول لكم ان ما مر علينا هو استثنائي وظرفي وعابر لا علاقة له بالمسار الطبيعي للعرب الدروز في لبنان على مر التاريخ ولمسيرتهم النضالية والتاريخية في دعم القضية الفلسطينية وقتالهم المرير المتواصل للدفاع عن عروبة لبنان ومواجهة الغزوات الاسرائيلية المتكررة، متواصلين طبيعيا مع العمق الطبيعي والاساسي والداعم، الا وهو العمق العربي السوري. مع سوريا اجهض الوطنيون حلف بغداد البغيض عام 1952 ومع سوريا اسقطنا اتفاق الذل لليمين اللبناني مع اسرائيل عام 1983، ومع سوريا وضعنا الصيغة النهائية للتسوية الداخلية عام 1991، الا وهو اتفاق الطائف. في هذا الاتفاق كرست هوية لبنان العربية نهائيا وفي هذا الاتفاق وضعت الاسس في العلاقات المميزة بين الدولتين، بين سوريا ولبنان على قاعدة الامن والمصالح المشتركة، وفي هذا الاتفاق ثبتت الهدنة مع اسرائيل نهائيا منعا لأي انجراف او تسوية جزئية او منفردة على حساب التاريخ والجغرافيا والتراث والهوية وتلازم المسارات وحفاظا للحق الفلسطيني في العودة. لقد دعمنا هذا الاتفاق بالدم المشترك مع رفاقنا في الجيش العربي السوري والمقاومة الفلسطينية وسائر القوى الوطنية والاسلامية ففي كل محطة نضالية وقومية وعربية استشهد العرب الدروز خلال كل الثورات والمواقع والحروب على مر التاريخ وفي غير من المواقع التي لا تحصى».

ووجه جنبلاط تحية خاصة إلى الرئيس السوري بشار الأسد «الذي سمح مع الأردن لهذا الوفد أن يأتي من فلسطين المحتلة، إلى أرض عربية، كما أحيي الرئيس الراحل حافظ الأسد الذي كان يستقبل وفود الأرض المحتلة والجولان الصامد في سوريا».

ثم ختم جنبلاط كلمته بتوجيه الحديث إلى الشيوخ الدروز، قائلاً لهم إن «ما هو آتٍ على فلسطين أقسى من النكبة، فيجب عليكم يا عرب الداخل أن تكونوا صفاً واحداً في السراء والضراء».

وعقب انتهاء المؤتمر، تباينت وجهات النظر بين أبناء الطائفة الذين وفدوا من بلاد الاغتراب، بين آراء اعتبرت مجريات المؤتمر استعراضاً سياسياً، لم يختلف عن أي من المناسبات، في الوقت الذي «نحتاج فيه إلى الحديث عن الفقر الذي يواجه أبناء الطائفة في الجبل، وكيف يتوجب علينا استثمار أموالنا في لبنان لإفادتهم»، وبين آراء رأت في الحديث السياسي «أمراً طبيعياً، لأن المؤتمر هو الخطوة الأولى، أي بمثابة الافتتاح، للجلسات التي ستعقد اليوم وغداً في بيت الدين».

وكان الوفد قد زار جنبلاط في كليمنصو وشيخ عقل الطائفة الدرزية الشيخ نعيم حسن في دار الطائفة في فردان.

جعفر العطار